المعجـــــزة
"1"

هل وجد الدين لكي يعد الناس للآخرة فقط!؟

واذا كان الأمر كذلك.. فهل أصبح من المحتم علي أصحاب كل دين أن يعدوا أنفسهم منذ اللحظة التي يولدون فيها حتى اخر دقيقة من عمرهم لكي يدخلوا الجنة، لا يعملون ولا يتطورون. ولا يقيمون حضارة ولا يشيدون مدنية.. بل يتركون أنفسهم للمقادير يتراكم الصدأ علي عقــولهم وأرواحهم، يتمتعون بالأدعية ويعدون حبات المسابح و... الخ.؟!

أقولها بكل ما أملك من أيمان أن الدين ليس كذلك والذين يوهمون البشر بأن الإنسان مــا وجد الا ليترهبن وبعد نفسه لدخول الجنة ما هم الا أعداء الدين.. وكل الأديان!!

إن الذين ما وجد الا لكي ينتشر العمران وتقام الحضارات في كنفه ويعم العلــم ويشــيع العمل.!

وقد قلت أمس أن المشعوذين والدجالين ــ تجار الدين ــ ارتكبوا أشنع جريمة في حــق ملايين المسلمين، ومن ثم ترتب علي تفكيرهم المنحرف عن أصل الــدين واســتغلالهم لرســالة محمد، وتفسيرهم لها حسبما يشاءون.. أقول ترتب علي كل هذا أن أتهــم المســلمون والتــأخر والجهل وكل صفة وضيعة تمتهن آدميتهم.!

ونحن المسلمين ــ متأخرون فعلا... وهذه حقيقة. واذا كان هناك من هو مســئول عــن تأخرنا وجهلنا عن مأساتنا كلها فلسنا نحن المسلمين علي أي حال... وليس محمدا.. وليس الدين نفسه، بل المسئول هم هؤلاء التجار الذين يخطفون المشاعل ليطفئونها حتــى تضــل الجمــاهير الطريق.!

وأود أن أتساءل.. لماذا تأخر سوي المسلمين ولماذا لم يمرض سواهم.. ولم يعم الجهل غيرهم، ولم ينتشر الخراب الا في ربوعهم..؟

كل الأديان يعيش أصحابها في أمان وسلام وفي كنف العلم والعمل والحق والعدل. ولم يقل أحد أنهم قد كفروا بديانتهم.. فهم يقيمون الصلوات ويحتفلون بمولد كل نبي لهم، ويبتهلون في الملمات الي الله.. ويسجدون له.!

ولأمر بالقارئ مرا سريعا بالتاريخ..

في القرون الوسطي التي يحددها المؤرخون من القرن السادس حتى الثالث عشر. كان الظلام يطبق علي أوروبا.. الأوبئة تفتك بالألوف. والجهل يغل العقول والجوع قانون.. والسخرة دستور، والذل طابع يوصهم به كل وليد..!

كانت أوروبا في تلك الحقبة من التاريخ المظلم الذي مر بالبشرية تعاني مما نعاني منه ــ نحن المسلمين ألان ــ .. وفي نفس الوقت كان المسلمون تزدهر حضارتهم ازدهارا رائعا في المنطقة المعروفة بالشرق الأدنى.. فعندهم علي وفي أوربا جهل.. وعندهم عدالة أوروبا ظلم، وعندهم حق وفي أوروبا باطل، وعندهم حريات، وفي أوروبا استعباد وسخرة وضياع...!

كانت أوروبا ــ في القرون الوسطي ــ خاضعة خضوعا تاما وكانت ثورة لوثيروس الإصلاحية قد وجدت طريقها الي قلوب الجماهير، نفس الجماهير، التي كانت بحكم عواطفها تؤيد الكهنوت وتحميه ولا تعارض رجعية رجالة وتزويرهم للدين.. وكان تأييد الجماهير لدعوة لوثيروس سببا في إنقاذه من الموت، وقد استدعت روما لوثيروس بعد ما قام في جرأة لا حد لها وعلق بيانا "منفيسو" علي باب محكمة الكنيسة تضمن خمسا وتسعين مادة هاجم في كل منها رجال الكهنوت وباطلهم.

قال للناس أن تعاليم الكهانة وهم كبير... ثم لم تكد تصله الدعوة من روما حتى انطلق هاربا ألمانيا.. فقد كان يعرف أن الموت له بالمرصاد في روما!

ثم احتمي لوثيروس في احدي قلاع سكسونيا وعكف علي ترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية الي اللغات الحية حتى تتمكن الجماهير في كل بقاع أوربا من الإطلاع علي نصوصه

فتفهم طريقها.. وتعرف أن الدين حق عدل وحق وعمل.. وعندما مات لـــوثيروس عـــام 1549 كانت أوروبا تغلي بالسخط علي الكهنوت.. وكان أن بدأت عملية تحطيم الكهانة. وفي نفس الوقت بدأ البعث العظيم.. فأصبحت أوروبا كما هي عليه ألان.. وفيها عمل وحق وعدل.

ثم كانت مأساة المسلمين في حال لا تختلف عن حال أوروبا في عصر الكهنوت.. عصر الظلام.. عصر الخرافة..!

وهم ــ المسلمون ــ الذين صنعوا ثقافة أوروبا، عندما نقلوا أليها فلسفة الإغريق وتعاليم أبن رشد وأبن خلدون ويقظة أبي العلاء!!

لقد عرفت أوروبا أن الدين لم ينزله الله علي رسله لكي يعد البشر أنفسهم لدخول الجنة.. بل عرفت أوروبا بعد صراع مجيد بين المفكرين ــ الذين فهموا حقيقة الدين ــ وبـــين الكهانـــة القائمة علي الخرافة والشعوذة.. عرفت أن الدين أنزل علي عباد الله لكي يحطم أغلالهم ويحميهم من الظلم والسخرة والجهل.. ويحميهم مما يهدد تقدمهم ورزقهم وعلمهم وحرياتهم!

عرفت أوروبا الحقيقة.. وتركناها ــ نحن المسلمين ــ .. تركنا الحقيقـــة تضـــيع منـــا.. وكانت بين أيدينا نوجه بها مقدراتنا ونتقدم علي هديها نحو المستقبل العظيم، الذي حدده لنا أعظم الثوار وأقدر المناضلين نبينا رسول السلام محمد.

ومن هذا التاريخ يمكننا أن نعرف أن الدين ــ أي دين ــ يمكـــن أن يســـتغله الـــدجالون والمشعوذون والانتهازيون طلاب الأسلاب والغنائم والجاه والشهرة.. كمـــا يمكـــن أن تســـتغله الشعوب.. وهذا هو الأصل في وجودة.!

فالدين لم يوجد الا من اجل الملايين.. لا الأفراد..

ومن واقع الملايين ومن صميم حياتها تنتشر الديانات وترسخ في القلوب..

فالذي يدعونا الي الأيمان برسالة ــ معينة ــ لا يمكن أن تكون رسالته متعارضـــة مـــع مصالحنا ومع تقدمنا ودوافعنا مع ازدهار معيشتنا وامننا وسلامنا.. وألا لما وجد من يـــؤمن بـــه وبرسالته ويتبعه.. ثم يناضل معه من أجل نشرها بين العباد.!

من أجل هذا انتصر محمد علي جميع الأعداء.. وعلي ضوء هذه الحقيقة انطلق العــرب في بسالة وراءه يستشهدون وينشرون العدل والحق والعمل في جميع الأمصار.!

وفي هذه الأيام المجيدة التي نمر بها نحن المسلمين يتحتم علينا أن نفهم حقيقة واحدة دعوة محمد كما أنزلها الله لها عليه لا كما يريد الانتهازيون والدجالون وتجار الدين أن يصوروها لنا.. بدافع من رجعيتهم وضعفهم وعشقهم للشهرة والجاه والسلطان..

ويتحتم علينا ــ نحن المسلمين ــ وقد بدأت فكرة المؤتمر الاسلامي تلاقي ترحيبــا فــي نفوس سكان أفريقيا واسيا وأوروبا وبعد أن اصبح تكتل المسلمين في جميع الأمصار ضــرورة تحتمها الظروف التي يجتازها العالم اليوم.. وبعد أن اصبح النهوض في ببلادنا وتطويرها بحيث تساير الزمن والعصر وركب الحضارة..

أقول يتحتم علينا أن نقف في وجه تجار الدين ونصفعهم بالحقيقة. فنقول لهم أن محمدا لم يدع المسلمين الي الكهانة والي الجمود.. أو الي العبث بحق الإنسان سواء كان هذا الإنسان رجلا أو امرأة في العلم والمعرفة واقامة أسس حياته علي العدل والمساواة والحق... والعمل...

نحن المسلمين مقبلون علي السير في ركب الحقيقة.. وفي كف الدين..

والي الغد أواصل حديثي عن المعجزة.. المعجزة التي بدأت معالمها تبين وتظهــر بعــد الأيام الرائعة التي قضيناها في ارض النبي...